

# الاصحاح



ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والآثار



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

المحور ٢ - البحث ١١

## الارتداد والتكفير في الديانة اليهودية

د. نيقولاس روزير نبوت

جامعة مالقة بأسبانيا

إن الديانة اليهودية على ما كانت وعلى ما زالت أن تكون فهي حجة دامغة على صدق رسالة الإسلام وخطاب القرآن عنها فكل ما جاء في الذكر الحكيم من ملاحظات وانتقادات عما عمل بعض أئمة اليهود من تغييرات وتعديلات في الوحي الأول المنزل عليهم جاء في صواب ودقة.

إن اليهودية في ملامحها الحالية والقديمة من بعد تحريف مبادئها السماوية هي نتاج عمل أئمة اليهود وأخبارهم وليس الأمر متعلق بالشعب الذي هو مجرد تابع لما يراه ويقرره قاداته. وعلى ذلك فإن القرآن يميز بين أئمة اليهود والمسيحيين ورهبانهم وأخبارهم وقسيسيهم من ناحية والأميين منهم عندما يقول:

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا ﴾ (البقرة، ٧٨).

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (القصص، ٥).

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة، ٢٤).

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (المائدة، ٨٢).

ويفصل القرآن بين الأئمة المهديين والربانيين من أهل الكتاب ومن فسق منهم:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة، ٤٤).

﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (آل عمران، ١١٠).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (الحديد، ٢٦).

ومع ذلك يقول القرآن أن أكثرية أهل الكتاب بالغوا في دينهم عندما اتخذوا قاداتهم الدينيين أرباباً من دون الله:

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (سورة آل عمران، ٦٤).

ولكل ما سبق ولأسباب وظروف أخرى، خص القرآن القتال المعنوي والمادي على أئمة الكفر: ﴿ فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ (التوبة، ١٢).

فبالنسبة لليهود فمعظمهم جهالاً بدينهم وفي اعتقادهم لا يجوز لأحدهم القيادة الدينية بينهم إلا إذا ألم تمام الإلمام بالتلمود الذي جمع ما تسمى التوراة الشفهية، وهو مكتوب باللغة العبرية القديمة واللغة الآرامية القديمة وكتاتهما غير مفهومة عند الجمع السواد من اليهود بما في ذلك الكثير من الأخبار.

و يدعي حخامات اليهود أن التلمود هو التوراة الشفهية (أو التوراة التي على الفم = "تورا شي بعل بيه" بالعبرية) وهي مقابلة توراة موسى -عليه السلام- المسماة بالتوراة المكتوبة (أو التوراة على الكتابة = "تورا شي بكيتاف" بالعبرية). وقد ادعى اليهود أن هذه التوراة الشفهية هي منزلة في تزامن مع التوراة المكتوبة على موسى -عليه السلام- في طور سيناء. ولذا يسمون تلك التوراة الشفهية كذلك ب"شريعة موسى -عليه السلام- التي من سناء". وكان من الممكن لنا أن نشير إليها على أنها سنة موسى لولا الخلاف والتناقضات الموجودة بين كلا التوراتين. ولا غرو في هذا فالكل يعلم عند

اليهود أن التلموذ إنما هو حصاد الحخامات اليهود من تجربة منفى اليهود وتشتيتهم بين الشعوب والثقافات الأخرى، ومحاولة توفيق ما عندهم من أوامر ونواه مع الظروف التي عاشوا في تلك الأمم الأجنبية، على أساس إبقاء اليهود جماعة متميزة عن سائر الجماعات الإنسانية، من أجل الهيمنة على السلطة والنفوذ بين اليهود أنفسهم وحتى على غيرهم من الشعوب الأخرى إن أمكن الأمر.

وعلى هذا المنوال فإن مسألة التكفير عند اليهود لها أصولها في التوراة وفي التلموذ وفي كلتا الحالتين فإن الحكم في ذلك هو الإعدام لأن المرتد عند اليهود أو الشخص الذي تمت إدانته بالكفر فإنه يعتبر خطرا على الجماعة اليهودية دينا وسلوكا وأخلاقا وإجتاعا وسياسة. فكان ذلك طوال العصور بالقدر المتفاوت حتى اندلاع الثورة الفرنسية وفتح الميدان لليهود في أوروبا للإندماج إلى المجتمع الأوربي بالتححرر من سلطة الأحرار عليهم. وهو الأمر الذي جعل حكم الإعدام عالقا إلى أيامنا هذه لتعذر تطبيقه على اليهود الذين فضلوا الإنضمام إلى الحضارة الأوربية الحديثة. وكذلك لأن الإنخفاض المستمر في عدد اليهود من ثلاثة قرون مضت جعل الأمر صعب التنفيذ لترك المجال مفتوحا لإعادة وعودة اليهود الذين انسلخوا من اليهودية أو أبناءهم وكل من ينحدر منهم لأجل تكثيف سواد اليهود مهما كانت الوسيلة.

وعلى كل فإن حكم التكفير عند اليهودية ما فتى في سرعان المفعول وفي تطبيق في الحالات التي تعتبر أن هناك خطرا جسيما للجماعة اليهودية وهو خطر سياسي على الأغلب.

### الكفر والارتداد في إصطلاح شريعة اليهود:

هناك ثمانية مصطلحات رئيسة للدلالة على الكفر والارتداد تبنتها اليهود في تشريعهم، أي فيما قد ابتدعه حخامات اليهود أثناء تأويلهم شريعة موسى

عليه السلام وتطبيقها للذين انصبا في الكثير من التحريفات لأحكام التوراة والتلفيقات حولها وحول بعثة الأنبياء أجمع. وقبل الإشارة إلي تلك المصطلحات، لا بد من فهم أن في الإصطلاح اليهودي الكفر والإرتداد هما بمعنى واحد فإن اليهودية تعتبر دين عرق موروث منذ نزول التوراة على موسى عليه السلام في سناء. ويعني ذلك أن الكافر ليس الإنسان غير اليهودي أصلاً لأنه لا يقدر إلا بصعوبة بالغة الالتحاق بدين اليهود فإذا ما تمكن من ذلك فإنه يهودي من مرتبة ثانية ولن يعتبر نسله يهودياً تماماً إلا بعد خمسة قرون من التوارث ولا من الزمان.

وعلى ذلك فإن الحالتين الوحيدتين في ارتكاب الكفر والارتداد هما ترك اليهودي الأصلي بعض دينه أو كله من ناحية، أو التدين بدين آخر. وحتى في هذه الحالة الأخيرة يقع التمييز بين اليهودي الذي تدين بديانة غير اليهودية إكراها والذي دخل تلك الديانة إيماناً بها ورغبة فيها. وعلى أساس أن اليهودية كما جاء في تطورها في الفترة ما بين آخر أنبياء بني إسرائيل وبين عيسى عليهم السلام هو دين قومي، فالكفر والإرتداد لا يأتیان إلا من جانب واحد وهو اليهودي التارك لدينه المفاوق للجماعة في لون من الألوان المذكورة في ذلك.

والتسميات الثمانية الآتية هي أهم الأسماء الموضوعة لمن مال من اليهود عن الطريق السوية في دينهم كلاً أو جزءاً ولكنه هناك سرد طويل من هذه التسميات لا تكاد تحصى في المؤلفات اليهودية على اختلاف الأمكنة والأزمنة والمواضيع المصنف فيها. والإكثار في تسمية المارق من اليهود دليل قاطع على وفور هذه الحالات في الحياة اليومية للجماعات اليهودية أينما قطنت ومهما كانت أوضاعها السياسية والإقتصادية والثقافية. وتلك الأوضاع لا تزال ماثلة في كنائس اليهود، بما في ذلك دولة إسرائيل التي لها تاريخ طويل ومعقد

مع هذه القضية الشائكة عند اليهود.

و من بعد هذا التوضيح فإن اليهودي الذي ينحرف عن أحكام اليهودية عملاً أو اعتقاداً فهو يسمى "ميشوماد" أي "مرتد" أو "معتق" دينا آخر. والمعنى الأول هو الفاني الذي يفني لأنه ترك الدين الصحيح الذي هو الحياة بعينها. وحسب السياق من الممكن فهم المصطلح على أنه يهودي عاص أو منحرف عن الدين في بعض مبادئ هذا الأخير. ولكن هو قريب من الخروج عن الملة تماماً إن استمر في ذلك الاتجاه فلأجل ذلك سمي المنحرف مثل المرتد لتبيين خطورة الموقف لديه.

### وفي الحقيقة يوجد نوعان من الـ "ميشوماد":

- ١- "ميشوماد ليتيابون" أي "العاصي أو المنحرف لأجل الهوى" الذي يرفض الامتثال بأوامر ونواهي الديانة اليهودية التي هي ٦١٣ حسب التلموذ، الذي هو، كما أنفت الإشارة إليه، نتاج تأويلات علماء اليهود على التوراة المكتوبة والأعراف المحصودة عبر التاريخ اليهودي التي تسمى التوراة الشفهية. وهي حالة معظم اليهود ولو من غير البوح بذلك عندهم، لأنه من المستحيل أداء جميع أوامر ونواهي الدين اليهودي في حياة واحدة لشخص واحد.
- ٢- "ميشوماد ليهاكيعيص" أي "العاصي والمنحربنية إغاظلة الله". وتجعل هذه النية اليهودي الذي يحتضنها في مكان المجرم الكافر لدينه الخارج عن الملة عملياً. لكنه من الممكن والواجب انتظار توبته والرجوع من ذلك الإجرام.

وغالباً ما تنطبق هذه التسمية على اليهودي الذي يتصر. وفي هذا الحين يتخذ ذلك المصطلح معنى المعمد، أي الذي تم تعميده لإلقاحه بالدين النصراني. وهذا الالتحاق بالدين النصراني هو أكبر خيانة في الدين اليهودي

لأن الديانة المسيحية عند اليهود أكبر ديانة وثنية بقيت على الأرض وأحسن نموذج للشرك بالله. ووقع هذا التطبيق لمصطلح "ميشوماد" للمتصر من اليهود على كثرة تكرار الحادث، وعلى وجه الخصوص في تاريخ أسبانيا، في العصر الوسيط الأوروبي من بعد استيلاء النصارى على الأندلس. وعلى كل حال فإن الـ"ميشوماد" يتضمن وعي الإنحراف أو الفسق الذي هو فيه أو الارتداد الذي يقوم به إذا ما تحول إلى دين غير اليهودية وليس جاهلا عما هو فاعله.

وظهر هذه التسمية في أيام أنطيوخوس الرابع الظاهر (Ἀντίοχος Ἐπιφανής) (ولد نحو ٢١٥ وتوفي سنة ١٦٤ ق.م.) أحد الملوك السلوقيين. وهو إحدى الأسر الملكية التي تقاسمات إرث الإسكندر الأكبر، ذي القرنين، بعد وفاته حينما حاول أنطيوخوس إحلال الدين الإغريقي القديم محل الدين اليهودي. وشن حملة على ذلك بنشر الوثنية الإغريقية ومنع الطقوس اليهودية وتطبيق أحكام الدين اليهودي وتحريم تعلمه ودراسته. وهو الأمر الذي لقي راجا لدى بعض اليهود الذين بدلوا بعض العقائد الإغريقية وعباداتها ببعض العقائد والعبادات للدين اليهودي آنذاك. وكان هذا الفريق من اليهود وكل من ينتمي إليه يسمى بـ"ميشوماد" أي الفاني والملاحق والمطارد على انحرافه عن بعض أحكام العقيدة اليهودية أو كلها وترك البعض من عباداتها وأوامرها ونواهيها أو كلها من غير حق ولا بصيرة ولكن على اعتماد.

ولما غلب اليهود على سياسة أنطيوخوس الظاهر بانتفاضة أطاحت بحكم السلوقيين في فلسطين، سنوا سنة الإحتفال بعيد "خانوكا" أي عيد التطهير حينما طهروا هيكل القدس من الأصنام التي أدخلها الإغريق ومن كان معهم ممن ارتد عن اليهودية وقتئذ أي الـ"ميشوماديم"، جمع ميشوماد بالعبرية. ويقع عيد "خانوكا" كل عام ما بين أواخر شهر تشرين الثاني / نوفمبر وأواخر شهر

كانون الأول / ديسمبر. وعيد "خانوكا" ذكرى لانتصار التوحيد على الشرك وللوحي على نطق الهوى عند العقل وللأنبياء على الفلاسفة. لكن القومية اليهودية شوهدت هذا المعنى وألبسته مغزى عرقي وطني، يجعل من ذلك العيد تحريرا سياسيا للشعب اليهودي وليس انتصار الموحدين على المشركين.

والملاحظ أن كلمة "ميشوماد" منطبقة، على الأغلب، على من يعتقد من اليهود كلا أو جزءا من دين وثني يحتوي على شرك آلهة أخرى بالله الواحد القهار. ولا تنطبق على من يعتقد دين توحيد مثل الإسلام (وهو دين التوحيد الوحيد حسب اعتراف اليهود بذلك وقتما يميزون بين انتقال اليهودي إلى هذه الديانة السمحاء والدخول إلى ديانة أخرى).

وهناك ملاحظة أخرى في مفرد "ميشوماد" وهي أن هذا إسم لا يخلو من حدوث شيء من إكراه على اليهودي الذي ينحرف عن دينه انحرافا ما وبالرغم من وعيه للموضوع فكأنه مقهور بالظروف والأقدار. وعلى ذلك، ففي الإمكان تفهم تصرفه ولو على خطأ بدون إلغاء مسؤوليته في الإثم الذي هو فيه. ومن الممكن وضع مصطلح "ميشوماد" بالعبرية بمقابل إسم "العاصي أو الفاسق" بالعربية.

إن المصطلح الثاني للمفارق للدين اليهودي هو "مومار" أي "الذي بدل الدين أو المبدل الدين بدين آخر". ويدل هذا المصطلح على من ألقى على ظهره دينه اليهودي واعتنق دينا آخر على تمام المعرفة بذلك. ويتضمن المصطلح معنى الخائن لدينه الرفض له بشحنة أكثر سلبية من كلمة "ميشوماد". فإن الـ"مومار" ليس منحرفا عن الدين في جميعه أو قسط منه، بل هو مغادر كل المغادرة الدين الأصلي اليهودي ومنتقل إلى غيره من الأديان والملاط. ومن ذا، تسمية "مومار" أي "الذي انتقل إلى دين آخر نهائيا". وهو بمعنى المهاجر أي التارك تعاليم الدين اليهودي المبادئ إياها. وعلى ذلك، سمى اليهود المغاربة من



يسلم من بينهم بالمهاجرين باللغة العربية. وقرنوا بين هذا المقابل اللغوي العربي وذلك البعد المعنوي في اللفظة العبرية "مومار". و لقب "المهاجر" عند اليهود المغاربة له دلالة سلبية للغاية، على عكس ما يحدث له في تاريخ الإسلام. ولربما كان مقصد إطلاق هذه الإسم على معتق الإسلام من اليهود قلب الأمر لدلالته الإسلامية من أجل زيادة تقبيح الفعل من زاوية نظرتهم.

وضمن المعاني المترتبة في مفرد الـ"مومار" بالعبرية، نجد معنى المارق عن الحق والجحود له والمتعند لقبول الحق و، على صعيد آخر، المنغص حياته بفتح الغين المشددة والمتضايق بعيشه. وكلها معان تدل على الموقف السلبي من الدين اليهودي (الذي هو الدين الحنيف في اعتقاد اليهود) بالمروق عنه والجحود له ورفض قبول صحته. وهي أمور تنبثق منها مرارة الحياة وسقم الإدراك. والـ"مومار" هو المصلح اليهودي المقابل للمرتد بالعربية والإسلام.

والمصطلح الثالث لليهودي الخارج من دينه هو "بوشيع يسرائيل" أي الآثم بإسرائيل" أو "المخالف لإسرائيل" بمعنى مخالف شريعة إسرائيل وهي شريعة موسى لولا التحريفات التي عرفتها هذه الشريعة على طول وعرض تاريخ اليهود. وهي إشارة إلى ان الدين اليهودي دين قومي، دين شعب من الشعوب وهو إسرائيل، الشعب المختار عند الله على إدعاء اليهود. ويتعلق استخدام هذا المصطلح "بوشيع يسرائيل" (المجرم في حق إسرائيل) بتصور تغيير الدين بخيانة الوطن والقوم المنتمي إليهما وتبديل الجنسية الأصلية بجنسية مغاير لها ومعادية عليها.

ويدخل ضمن معاني "بوشيع يسرائيل" (المرتكب ذنبا ضد إسرائيل) معنى المؤامرة ضد دينه الأصل وشعبه العريق والتمرد عليهما والتعدي على حرماتهما والإخلال بمصالحهما. فهو مجرم يتصرف تصرف الصعلوك بقومه وبتعاليم دينه. وهو في موقف الخائن إبان الحرب بين قومه وعدو قومه. وجميع

هذه الدلالات واردة في هذه التسمية "بوشيع يسرائيل". ويتسبب ذلك في إدانته والنظر إليه على أنه مدان بجريمة واقعة في حق دينه وشعبه. ويكون جزاؤه على جنس العمل الذي جعله يخل بأمن ذويه ومحارم دينه. واستنادا إلى جملة هذه الدلالات فإن مصطلح "بوشيع يسرائيل" هو المقابل اللغوي، مبنى ومعنى، للمصطلح الإغريقي الذي انتقل إلى معظم اللغات الأوروبية الحديثة والذي يشير إلى المرتد، وهو كلمة "أبوستاتيس" التي تعني المتمرّد السياسي الذي خرج على السلطان.

والإسم الرابع للمرتد عن الدين اليهودي هو "كوفير" أي الكافر فالمعنى والبعد نفسهما في العربية وفي الإسلام. أي الذي يغطي الحقيقة ويخفيها لكيلا يعترف بها ويسهل له رفضها. فالمعنى العبري لكلمة "كوفير"، وكما هو الشأن في العربية، له صلة بالإنكار. و"كوفير" هو المنكر لحقائق الدين وفضائله ولتسني هذا الإنكار لا بد من الالتجاء إلى كذب والافتراء والتزييف والتحريف وكلها معان يشملها إسم "كوفير" العبري مثلما هو الأمر بالعربية.

والفرق الوحيد في ذلك بين العبرية والعربية، أن في العبرية، وهي لغة الديانة اليهودية، فاعل الكفر أو مرتكبه هو يهودي أصلا، ولا يجوز لغير اليهودي أصلا أن يكون كافرا لأنه لا يعتبر مؤمنا بالدين الصحيح من حيث المبدأ ولا يتوقع منه اعتناق الدين القيم لأنه لم يخلق من أجل ذلك، بل لخدمة المؤمن الحقيقي وهو اليهودي عرقا. فجميع ما نحن فيه من شرح عن كيفية الارتداد والكفر والتكفير بين اليهود، منطبق فقط على من يترك الديانة اليهودية من اليهود وليس من يترك أي دين آخر ويدينه به فجميع الأديان مبطللة عند اليهود ما عدا دينهم ولو اعترفوا بفضل الإسلام على أنه تصور خاطئ لليهودية.

وال "كوفير" كذلك وعلى منوال العربية يحمل معنى الإلحاد وإنكار وجود الخالق للخلق المدبر لشؤونه والهرطقة في العقائد بصدده.

أما التسمية الخامسة لمن يرتد من الدين اليهودي هو "مين" أي "نوع" أو "جنس" (من الكفر أو الفسق أو الإلحاد). ويتم استخدام هذا اللقب في من يجحد وجود إله خالق للكون مدبر له، ويلحد به. وذلك، كما هي الحالة في الإسلام، هو عين الكفر وجريمة لا تستغفر فإنه يقض أساس التوحيد والعبودية في الدين اليهودي ويخرج إثر قوله من الملة، إلا وأن الطبيعة العرقية الغالبة في الدين اليهودي، الناتجة من تلفيقات وافتراءات علماء اليهود (الأخبار أو الحخامات)، لا تقدر على طمس الهوية الدينية اليهودية من أحد من اليهود الأصليين، ولا إلغاء انتمائه إلى الأمة والدين اليهوديين، على ما وصلت إليه قرارات الأخبار في هذه القضية. وعلى ذلك، يبقى حكم الملحد، الذي هو الحكم بالإعدام، عالقا دون تنفيذ حتى موت من ادعى ذلك البهتان على الله. ويأتي الاستثناء الوحيد على ذلك في حالة تضرر الجماعة اليهودية بكفر الملحد بالله. وعندئذ يتم البحث عن طريقة للقضاء عليه والتخلص منه ولو بمكر. فإن حكم الإعدام وارد في التوراة ولكن لمن يأبى عبادة الله والتسليم لأوامره ونواهيه عز وجل أو لمن يوجه عبادته لغير الله من الأصنام والطواغيت. ويطلق إسم ال "مين" سواء كان على كافر بالله أو المشرك به عز وجل في عبادته للأوثان. وهو الإسم السائد في المؤلفات اليهودية المتخلفة والذي يقابل في الإسلام إسم الكافر أو المشرك، بالرغم من وجود مفرد "الكافر" في اللغة العبرية.

والإسم السادس المطلق على من ينكر العقيدة اليهودية والعمل بمقتضاها من بين اليهود فهو "أبيكوروس". وهو إسم أحد فلاسفة الإغريق (٣٤١-٢٧٠ ق.م.) الذي كان يدعو إلى اتخاذ التمتع برغائد الحياة طريقا إلى السعادة في

الدنيا بنسيان آلامها. ولكن من جاء وراءه أطلق العنان على التمتع الحر دون حدود ولا اتزان فأضحت التسمية مرادفة لمن لا يريد إلا السعي في ملذات الدنيا ملقيا على ظهره كل قيمة أو ورع في ذلك. وبهذا المعنى الأخير راج إلحاق الاسم بمن يرفض شريعة القيم الدينية أو الأخلاقية سواء كان في الديانة اليهودية أو المسيحية. وعلى هذا، فإن "أبيكوروس" يشارك كلمة "مين" في الإلحاد بوجود الخالق للكون عبر نكرانه الشرائع المنزلة من قبله تعالى على الإنسان، وهي شرائع نزلت أولا وأخيرا لضبط حياة بني آدم في جميع الميادين، بما في ذلك ترويض الهوى والنفس.

وينظر اليهود إلى هذا الموقف على أنه عين التمرد والمروق عن أمر الله ونهيه فإنه الإثم الذي وقع فيه في البداية أبينا آدم عليه السلام، الذي خالف ما نهاه عنه ربه عز وجل وقد وضع ذلك النهي لسعادة البشر، مثلما فعل تعالى حينما أوحى بمختلف الشرائع عبر التاريخ إلى الوصول إلى شرعة الإسلام الناسخة لما قبلها الشاملة لما بعدها. ويرى اليهود أن الشريعة، ولو محرفة وإن ثقلت عليهم، فمغزى مجيئها رفع مستوى الإنسان (أي اليهود بأنفسهم) فوق جميع المخلوقات. والدليل على هذا الرأي في مقولة الحخام الروسي "خافيتس خايم" (إسرائيل ميير كاغان - 1838-1933 م.):

"لا أفهم تسمية "اليهود الأحرار" التي راج استخدامها اليوم. ما هذا؟ صحيح أنهم أحرار لكنهم ليسوا يهودا. كلا الأمرين متناقض للآخر، لأن اليهودي ليس حرا والحر ليس يهوديا.. {..} مثلهم (اليهود الأحرار) مثل الأعضاء الميتة في أمتنا التي تفسد سائر الجسم. ولو سمى هؤلاء أنفسهم يهودا فإن موقفهم المبني على مفهوم زائف يرمز إلى أن من الممكن كون الإنسان يهوديا دون التوراة وأحكامها لمعارض التوراة ويستأصل التوراة استئصالا جذريا".

والتسمية السابعة لمن يدع الدين اليهودي هي "أنوص" أي "المكروه أو المقهر" (في ترك الديانة اليهودية). وذلك إسم مطبق على اليهودي الذي قد تم إرغامه في ترك اليهودية واعتناقه ديناً مغايراً لها. فهذا اليهودي لا يزال يعتبر يهودياً لكنه يهودي من نوع خاص يحتاج إلى معاملة خاصة أيضاً. والشرط الوحيد في بقاء اليهودي المكروه لتغيير دينه في اعتباره يهودياً هو الاعتراف بصحة العقيدة اليهودية ولو لم يمارس طقوسها.

وذلك أشبه ما هو بحالة التقية عند المسلمين بنفس التقدير لها على أنها حالة مؤقتة في أقصى الخطورة، يجب الانتقال منها في أقرب وقت ممكن. ولكن، كما حدث مع الـ"مورسكيين" في أسبانيا قد بقي إلى حد الآن، و منذ قرون، بعض من اليهود في هذه الحالة. وفي هذه الأزمنة الأخيرة، تحاول عدة مؤسسات يهودية، مثل "بيناى أنوصيم" (أي "أبناء المكروهين على هجرة الدين اليهودي") أو "تربوط سيفاراد" (نسل سيفاراد وهو إسم الجزيرة الإيبيرية بالعبرية) استرداد هؤلاء المنحدرين من الأنوصيم إلى الدين اليهودي بإصدار فتاوى على صحة انتمائهم إلى العرق والدين اليهوديين والقيام بتربيتهم في عقائد وأحكام اليهودية. وبالرغم من ذلك فإن عددا لا بأس به من أحبار اليهود لا يضعون في سلك اليهودية حفدة الأنوصين الذين طال خروجهم من الديانة اليهودية إلا من شهدت حالته بذلك أو إذا حصل ذلك الـ"أنوص" بشهادة يهودي آخر على انتمائه إلى العرق اليهودي والدين اليهودي أصلاً.

وهذا الإعتبار للأنوص عند اليهود يأتي من أنهم يعيرون اهتماماً بالغاً للعرق الذي يبقى ماثلاً فيمن تنصر أو أسلم من اليهود، رجاء منهم أن يكون الأمر وضعاً مؤقتاً سببه عارض عابر. ومن المعتاد، التسمية بأنوص غالباً لمن تنصر من اليهود، لأن أغلبية حالات الإكراه في ترك دينهم كانت في بلدان النصرى ولا تطبق إلا نادراً على من يسلم من اليهود فإن اعتناق الإسلام

عندهم وعند سائر الأديان يتم ضمن الاختيار الحر ولا مجال لتطبيق هذه التسمية عليه.

ومن الملفت للنظر أن التقية الإسلامية وحالة ال"أنوص" قد ظهرت على سعة معانيهما غدوة استلاء النصارى على أراضي الأندلس في شبه الجزيرة الإيبيرية. وكلتا الحالتين دامت مدة طويلة حتى وصلت إلى أيامنا هذه فيما يتعلق باليهود الأنوصيم، على وجه الخصوص في جزيرة ميورقة في أسبانيا وفي قرية بلمنتي في البرتغال. وفي شأن المسلمين لا نجد تلك المؤسسات التي تهتم باستعادة من انحدر من المسلمين الذين تنصروا كرها. ولربما يعود السبب في ذلك إلى أن الإسلام دين عقيدة وليس دين عرق، كما هي الحال في اليهودية على ما انتهى إليه علماء اليهود وليس على ما كان وقت بعثة موسى عليه السلام.

والتسمية الثامنة لمن وقع في الإرتداد من الدين اليهودي هي "سونيء" أي "الكاره" (لشعب إسرائيل) وهو اليهودي الذي ينتقد تصرفات اليهود جماعة أو العقائد اليهودية أو أحكام دينهم. وتحتوي هذه التسمية معنى "الكاره" لنفسه لأنه يهودي" وهذه حالة تناقض عند اليهود، لأنهم لا يفهمون كيف أحد فضله الله باليهودية ويكره ذلك الفضل. فهم يرونه خطيرا عليهم بسبب تشكيكه في نظامهم الديني والجماعي والسياسي فإنه في الكثير من الأحيان يفضح بإنتقاداته الانعواجات الموجودة في النظر اليهودي للدين والعلاقات الإنسانية بين ذاتهم وبينهم وغيرهم.

ونجد أن هناك تدارجا تاريخيا في حدة التسميات المطبقة على اليهود الذين هجروا اليهودية في منوال يدل على التشدد التدريجي في معنى وبعد هذه التسميات وفي معادلة عكسية بالنسبة إلى إمكان سلطات اليهود المختلفة عبر التاريخ لتطبيق الأحكام المتعلقة بالارتداد عن الدين اليهودي. فكلما انخفض الإمكان في تطبيق الحدود المتبينة عليه، وهي حكم الإعدام في الحالات

البائن فيها الكفر عن ملة اليهود على الإطلاق، ازدادت شدة الدلالة على ذلك الفعل. وعلى نقيض ذلك فإن المصطلحات كانت في أكثر خفة وقت تمتع اليهود بسلطة سياسية وقضائية فعالتين.

**وتأتي التسميات على الترتيب التالي، نظرا إلى درجة الابتعاد عن معتقدات اليهود ومهنگ الحياة المبني عليها وإلى الضرر المنعكس بذلك الابتعاد على الفرد المخطئ بذلك الفعل أولا وعلى جماعة اليهود ثانيا:**

- سونيء
- أنوص
- ميشوماد
- مومار
- كوفير
- مين
- أبيكوروس
- بوشيع يسرائيل

وبجانب اعتبار الهوية اليهودية ماهية روحانية وجسمية إذا وقع الحكم التكفير بمعنى حكم نبذ الشخص عن الجماعة اليهودية فالحد لذلك هو الرجم حتى الموت وهو حد وارد في التوراة وفي التلموذ. وحكم التكفير والإدانة به وارد شرحه في التوراة الشفهية التي في هذه الحالة هي كذلك تفسير للتوراة المكتوبة، على ما ياتي في التلموذ في رسالة "أحكام عبادة الكواكب - والكواكب هنا بمعنى الأوثان والطواغيب - (هلحوت أفودات كوخافيم) في الباب الثاني والحكم الخامس:

"إن أي يهودي يعبد الأوثان فيعتبر أنه مشرك (عابد الأوثان) في جميع الأحكام وليس هناك وجه للمقارنة باليهودي الآثم بأي ذنب آخر والواجب

رجمه إلى الموت. وأي مرتد (مومار) يخدم الأوثان قد أنكر وارتد عن التوراة كلها.

ومثلهم مثل الأبيكوروسيم (جمع أبيكوروس أي المارقون الكفار من اليهود) الذين لا يتم اعتبارهم يهودا من أي وجه من الوجوه، وتوبتهم غير مقبولة حسبما يأتي في سفر الأمثال في الباب الثاني والآية التاسعة عشرة: لا أحد ذهب (في طريق الفسق) يعود للتوبة ولن يلتحق بسبيل الحياة".

"الأبيكوروسيم" هم الذين يسعون وراء ما تملي عليهم تفكير قلوبهم من الخزعبلات التي سبقت الإشارة إليها، حتى يمرقوا عما جاء في جسم التوراة علوا وازدراء بنية إغضاب الله وزعما أن ذلك ليس إنثما.

وحديثهم حرام والجواب عن أسئلتهم حرام مطلق على ما يقول سفر الأمثال في الباب الخامس والآية الثامنة: "لا تقرب من بابه" فإنه من الممكن تسليمه أن ما ينوي ال "أبيكوروس" بكلامه يشير إلى الطواغيت (ولا إلى الله)".

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

רמב"ם הלכות עבודת כוכבים פרק ה הלכה ה

| ישראל שעבד עבודת כוכבים חרי הוא כעובד כוכבים לכל דבריו ואינו  
 | כישראל שעובר עבירה שיש בה סקולר, מומר לעבודת כוכבים חרי הוא  
 | מומר לכל התורה כולל, וכן האפיקורסים מישראל אינן כישראל לדבר מן  
 | הדברים ואין מקבלים אותם בתשובה לעולם שנאמר כל באינה לא ישובון וקא  
 | ישיגו ארחות חיים, והאפיקורסים הם חתרים אחר מחשבות לבב בסכלות  
 | דברים שאמרנו עד שנמצאו עוברים על גופי תורה להכעיס בשאט בנפש ביד  
 | רמה ואומרים שאין ביה עון, ואסור לספר עמהן ולהשיב עליהן תשובה ככל  
 | שנאמר ואל תדבר אל פתח ביתה, ומחשבה של אפיקורוס לעבודת כוכבים.  
 | /השנה הראשון/ ישראל שעבד וכו' לכל דבריו. איא אנפיה אסור לאבד ממונו בידים מדי ידו  
 | אמסור אבל אם נשא עובדה כוכבים אין לו זרע כשר ודאי כותף לאבדו בידים או לישלו מעצמו.

ويوجد في سفر أحكام المتمردين (هلحوت ممرين) من التلموذ في الباب الثالث والحكم الثاني الحكم التالي:

"إذا ما تبين جهرا أن أحدا قد كفر بالتوراة الشفهية وهو منكر لها فهو



مثل جميع المارقين (أبيكوروسيم) والذين يقولون إنه ليس هناك تورا منزلة من السماء والخونة الوشاة (موسيريم) والمرتدين (موماريم) لأنه لا أحد منهم ينتمي إلى إسرائيل ولا تقبل شهادته ولا وعظه ولا ينصب حكما وعلى ذلك فإن

كل من قتل أحدا من أولئك فإنه قد أدى فريضة عظيمة وأطاح بعرقلة  
 רמב"ם הלכות ממרים פ"קג הלכה ב

[مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج]

ونلاحظ كذلك أنه، بناء على التسميات السابقة، لا يحدث التكفير إلا بالعمل خارج نطاق الدين اليهودي اعتقاديا وعاداته عمليا ومصالح اليهود اجتماعيا وسياسيا. ولكن طبيعة هذا العمل غير ثابتة في نوعها على أساس تقلب الظروف السياسية والاجتماعية. وبذلك نجد هذا التردد في المصطلحات وأبعادها الدلالية وفي النوعية اللغوية للتسميات. وكذلك نلاحظ كيف الكفر والإرتداد متعلقان غالبا بكفر وإنكار التورا الشفهية، أي الأحكام الموضوعية من طرف حخامات اليهود، وقليل ما تمس القضية التورا المكتوبة، أي الوحي الإلهي ولو محرف، وإن أوقع إنكار هذه الأخيرة في الكفر بالطبع.

ومع كل ما جاء في التورا والتلموذ بإدانات للمرتد عن الدين اليهودي فإن كل هذه التسميات، على ما تدل من أحوال متنوعة في البعد عن الدين اليهودي، لا تمحو هوية اليهودي العرقية. والتوبة على متناول جميع المرتدين إلى وقت الوفاة لأن اليهودية حالة خلقية بفتحة في الخاء واللام وخلقية بضمه في هاتين الحرفين وهي أبدية لمن ولد من أم يهودية لا تبطلها أية جريمة مهما عظمت. وحتى في الآخرة هناك تمييز بين اليهودي العاصي والمترد وبين غير

اليهود فإن اليهودي ولو كان مرتدا فهو في مستوى فوق غير اليهودي دائما وأبدا.

فالإرتداد والكفر عند اليهود هي حالة عملية ومؤقتة ما دامت السماوات والأرض فلا يجوز للمرتد على تنوع مضامين تسمياته في اليهودية القيام ببعض الأعمال التي هي حكرة على اليهود الصالحين، إن صح ذلك التعبير، مثل حمل ومس كتاب التوراة والإشتراك في نصاب صلاة الجماعة اليهودية (وهو عشرة رجال) أو صناعة الخمر اليهودية التي لا تجوز لمسها من غير اليهودي في جميع مراحل صناعتها. ولكنه، وخارج هذه الأعمال القدسية حسب نظر الشريعة اليهودية، فالمرتد اليهودي يتراوح بين الإيمان والكفر على تفاوت احترامه لأحكام الدين اليهودي بما نص عليه آراء الحخامات اليهود في التلموذ. وذلك أشبه ما هو بمبدأ "المنزلة بني المنزلتين" في عقيدة المعتزلة في الإسلام.

ولذا فحكم الحرم أو المحرمة (الخيريم أو المخرمة بالعبرية أي الطرد من الديانة اليهودية) وهو التكفير، يشمل أحكام متباينة على حساب جسامته الإنحراف أو الإرتداد عن تعاليم الدين اليهودي في تصورات الحخامات اليهود. وأحكام التكفير عند اليهود لا تتضمن خلع اليهودي من يهوديته، لأن هذه الهوية اليهودية ليست، مثلما هو الشأن في الإسلام وفي المسيحية، هوية دينية، بل هي ماهية روحانية وجسمية على حد سواء، تأتي على أساس عرقي لمن ولد من أم يهودية. وهي ماهية غير قابلة للزوال مهما ارتكب اليهودي من ذنوب أو تعديات على حدود شريعة اليهود. ومن ذا، فإن حكم التكفير عندهم ليس مطلقا ولا كليا بل نسبي ومتفاوت على الحالات والأشخاص ولا يقدر على إزالة اليهودية ممن أطلق عليه ذلك الحكم بالتكفير والذي يرجى منه الرجوع من كفره أو ارتداده طول حياته إلى حصول الموت. وحتى من بعد الموت، تقام



عليه طقوس اليهود في الجنابة إن رغبت في ذلك عائلته أو أقاربه لأنه يهودي ولو كان كافرا باليهودية كما ينص عليه التلموذ:  
"من يآثم من إسرائيل لا يزال من إسرائيل" (تلموذ، قسم الجيماراء - الترجمة والتفسير بالعبرية - في مبحث الأضرار - سيدير نزيكين - في رسالة المجلس - سنهدين - ١٤٤)."

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

## فهرس المصادر

- "بذل المجهود في إفحام اليهود" للحكيم السموءل بن يحيى بن عباس المغربي (ت. ٥٧٠ هـ)، قدم له وخرج نصوصه وعلق عليه: عبد الوهاب طويلة، دار القلم، دمشق، ١٤١٠-١٩٨٩م.
- "قضية المهاجرين المسمون بالبلديين" لمؤلف مجهول، دراسة وتحقيق: محمد فتحة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، المغرب، ٢٠٠٤م.
- "لا أميناثا إنيتريور" (الخطر الداخلي: تاريخ المعارضة اليهودية للصهيونية) باللغة الأسبانية وهي ترجمة من الأصل الفرنسي على قلم إيرينا سلسير، يعكوف ركبين، هيرو للطباعة والنشر، هونداروبيا، أسبانيا، ٢٠٠٦م.
- "لوس خوديروس دي أسبانيا" (يهود أسبانيا) بالأسبانية، جمع مقالاته ألي كادوريا، دراكونتوس للطباعة والنشر، برشيلونة، ١٩٩٢م.
- التلموذ بالعبرية والأرامية والإنجليزية.
- الكتاب المقدس بالعبرية والعربية والأسبانية.



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج